

منتخبات التواريخ والآثار في مواضع عكار والجوار (3)

عكار وجوارها في "بعثة إلى فينيقيا"

المقدمة

ترافق النشاط الاستعماري الفرنسي في المشرق مع النشاط العلمي في استكشاف الآثار. ولكن علينا التمييز جيداً بين الجانب العلمي والجانب الاستعماري أو التبرير والتمهيد له.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بتنا نرى الدبلوماسيين الفرنسيين، لا سيما القناصل، مندرجين في البحث في الآثار، وفي ظل مرحلة "ملكية تموز" عُرف كثير من الدبلوماسيين بلقب "القناصل الأركيولوجيين". ومنهم بونيون مكتشف الآثار البابلية في وادي بريسا.

في العام 1860-1861 ارسل نابوليون الثالث حملة عسكرية إلى لبنان، بموازة "بعثة إلى فينيقيا"، برئاسة إرنست رنان، لتقدم لها الحماية والدعم.

يُعتبر رنان أب الأركيولوجيا اللبنانية، خصوصاً من خلال أعمال بعثته المعروفة باسم "بعثة إلى فينيقيا" التي أجرت أوسع عملية بحث وتنقيب في الآثار على الساحل اللبناني والسوري.

ركزت "البعثة" أعمالها في نقاط أربع هي من الشمال إلى الجنوب: أرواد وجوارها، جبيل، صيدا، وصور. هذا بالإضافة إلى جولات استكشافية في مناطق جبل لبنان والجنوب والبقاع والسهول بين حمص وحماة والمنطقة الممتدة منهما إلى البحر المتوسط.

كان لعكار وجوارها نصيب ضعيف في اهتمام رنان، ولكننا لم نضرب صفحاً عنه، بل نعرضه هنا في تفاصيله.

ولقد وجدنا من المفيد أن ندخل في هذه المقدمة ما قاله عن عكار وجوارها أحد أبرز مساعدي رنان السيد لوكرولا في مقال له بعنوان "رحلة إلى سورية"، وذلك لما فيه من بعض التفاصيل غير الواردة في الكتاب الصادر بعنوان "بعثة إلى فينيقيا"، بالإضافة إلى انطباعاته، فضلاً عن إقامته يومين في بلدة القبيات.

رحلة لوكرؤا إلى سورية¹

(ص 33) فينيقيا

إذا كانت مدن فينيقيا وأهلها يشبهون ما نراهم عليه اليوم فلا بد أنها كانت مدناً فقيرة والفينيقيون كانوا أسياداً بؤساء. وإني لأعتقد أن شعباً في العالم لم يبلغ انحطاطه هذه الدرجة الشاملة. لقد نسي الفينيقيون المعاصرون الفن والتجارة والملاحة، بل إنهم نسوا حتى الكتابة. فبالكاد تلجأ بعض قوارب الصيادين للاحتماء في موانئهم، وأقل نفخة ريح تخيفها وتعيدها إلى مكان انطلاقها؛ شعب الملاحين هذا يخاف من الماء. وإنه ليدهشنا كون الممالك المجهرية التي كانت تؤلف فينيقيا قد لعبت ذلك الدور التاريخي. كان القدماء يضخمون الأمور: فأصغر صخرة تبدو لهم جبلاً، وبقاقة من الأشجار غابة، وأربعة بيوت مهملة مدينة، ويجعلون بركة الماء الصغيرة بحيرة، وجداول ذلك الزمن تصبح كأنها أنهار، هكذا كانت الأمور رائجة. وإني لأعتبر أن فينيقيا تدين بشهرتها لحد كبير إلى خيالهم الجامح. فإما أن مؤرخي العصور القديمة قد اختلفوا كل شيء عنها، وإما أن سكانها قد تقهقروا بشكل غريب.

كان هدف البعثة العلمية بإدارة إ. رنان أن تجمع وتدرس كل ما له صلة بهذا البلد المشهور بقدر ما قلما هو معروف. (ص 34) لم تكن المهمة سهلة: ففينيقيا هذه التعيسة، لطالما تعرضت للضرب والنهب والسلب مع كل عابر (الإسكندر في عدادهم) بحيث لم يبق لها سوى القليل مما لديها، وحتى هذا القليل المتبقي يبدو أنه لم ينتم إليها شرعاً، لكثرة ما أقتبسته آشور ومصر واليونان.

بدأت، في جبيل، أعمال التنقيب التي توسعت بفضل المساهمة السخية من الجيش (الفرنسي) إلى أربع مناطق معاً: صور، صيدا، عمريت (ماراتوس Marathus)، جبيل...

حوالي أواسط تشرين الثاني من العام 1860، سرية من فوج المشاة القناصة السادس عشر (الفرنسي)، المواكبة للبعثة وهي بقيادة المقدم رئيس الحملة، دخلت دخول الفاتحين إلى مدينة أدونيس المقدسة. ومنذ ذلك اليوم من العام 1266 الذي هربت فيه الحامية المسيحية ليلاً عبر بوابة سرية في شمالي جبيل لم تشهد المدينة جنوداً فرنسيين. مرّ الجنود وفي الطليعة منهم نافخو الأبواق أمام مصطفى غنوم Mustapha Gannoum، الذي انحنى لدى رؤيتهم، وهو أحد الحكام الأربعة، والوحيد من بقايا حزب صلاح الدين القديم²...

(ص 36) سكان سورية

لعل سورية البلد الوحيد من بين جميع بلدان العالم حيث يتجمع العدد الأكبر من الأعراق والأديان المتنوعة في أضيق مجال.

الموارنة، هؤلاء المسيحيون التابعين للكنيسة الرومانية، يسكنون خصوصاً في المنحدر الغربي للبنان بين بيروت وطرابلس، وإن كانوا ينتشرون مبعثرين في كل مكان. والدروز، أتباع دين

¹ المرجع: LOCKROY (E): "Voyage en Syrie", texts et dessins inédits, Le Tour du Monde, Nouveau Journal des Voyages, vol. 7, 1863, 1^{ier} semestre, pp. 33-64.

² كلما دار حديث الغربي عموماً عن المشرق العربي عادت به الذاكرة إلى المرحلة الصليبية، مازجاً افتخار نجاح الغزو الصليبي بمرارة الهزيمة التي أصبح صلاح الدين رمزها. ولا بد أن حلم العودة مستمر في الغرب على الدوام (المترجم).

مشهور جداً سره بخلوه من أي دين³، يقطنون المتن وحوران وبعض مناطق السلسلة الشرقية. المتأولة، مسلمون شيعة، أتوا من بلاد فارس، يمتدون إلى الجنوب، في قضاءي صيدا وصور حتى جوار عكا، وإلى الشمال في سهل بعلبك وعلى كل المنحدر الشرقي للبنان. أخيراً، من طرابلس حتى أنطاكية، هناك النصيرية، قوم المعرفة به ضعيفة، وهم منقسمون إلى عدة شيع أشهرها شيعة الحشاشين الذين يرأسهم شيخ الجبل. ثم هناك البدو والكرد والتركمان، وهم رحل على الدوام. ثم هناك اليهود، والأرمن الكاثوليك والمنشقون schismatiques، والروم الكاثوليك والمنشقون، والكلدان الكاثوليك والمنشقون، والمسلمون من العرق العربي والترك⁴. جميع هذه الأعراق والأديان تختلط في هذا البلد، ولقد عاشت فيه جنباً إلى جنب طيلة قرون، دونما أن يتمكن التجاور والتساكن، إن جاز القول، من تخفيف الأحقاد المتبادلة.

قوم المدن الساحلية مشرقيون، وهم على العموم حصيلة مزيج من العرب والإيطاليين واليونان والمالطيين. وهم هناك منذ أقدم العصور...

(ص 39) العرب الذين أثارتهم كثيراً عمليات التنقيب كانوا يراقبونها بكل دقة، فلم يصدقوا أن هدفنا ليس البحث عن الكنوز. وعندما لاحظوا أننا نجمع من الحجارة القديمة أكثر مما نجمع من قطع الذهب، بدأوا بالسخرية، ثم صرّحوا علناً عن قلة تقديرهم لذكاء العاملين. ذات يوم بينما كان المطلوب رفع الغطاء الثقيل عن تابوت حجري أحضر العمال رافعة. لدى رؤيتها لم يستطع الحضور إخفاء اشمئزازه، وارتفعت أصوات السخرية المرة، والفهقهة المستمرة. اعتبر الموارنة الرافعة كآلة إطفاء، وبالتالي بدا لهم السعي لرفع حجر ثقيل بألة إطفاء مدعاة لمنتهى السخرية. ولكن دهشتهم جاءت متعذرة الوصف عندما شاهدوا هذه الآلة التي يحركها شخص واحد تقلب قطعة الغرانيت الثقيلة. والجنود بدورهم، لكثرة ما سمعوا العرب يتحدثون عن الكنوز المخفية والثروات المطمورة، شرعوا بالبحث بحماس منقطع النظير. وكان برفقتي رقيب متقاعد يُدعى روبيار Robillard، فإنه قال لي، بعد ثلاثة أشهر من التنقيب دون العثور على أي فينيقي يحتفظ بقطع نقدية من فئة 20 فرنك: "لا تحدثني عن مقبرة بيبولوس خاصتك هذه؛ فلم يُدفن فيها غير المتسولين".

دور القناصل

يا لها من منطقة مثيرة سورية، ويا لها من سلطة غريبة أيضاً السلطة التركية. فهي المفروض بها تطبيق القانون تجدها بلا تأثير أبداً على البلد، بل تتركه كساحة صراع واسعة للدبلوماسية الأوروبية. فسورية فرنسية مرة، وإنكليزية مرة ثانية، وروسية مرة ثالثة؛ ولكنها لن تكون تركية أبداً. فمجرد قنصل، إذا ما تمتع بالجدية والحماس، يغير ببضع سنوات عقلية السكان ويستطيع اكتساب سلطة هي بالتأكيد أكبر من سلطة الباشوات، أي السلطة القائمة والمعترف بها.

لقد تغيرت الوسائل السياسية اليوم، في ما مضى غالباً ما كانت الوسائل الأضعف والأكثر غرابة هي مصدر النصر في هذه المعارك الدبلوماسية.

تمنح الحماية، أي نصف الجنسية، تقريباً لكل من يرغب بها. العربي، المحمي، يتخلص من قضائه الطبيعيين، وبذلك يلجأ إلى الأعمال البعيدة عن الاستقامة. وعندما تقرر فرنسا التخلص

³ موقف نصيري ممزوج بموقف سياسي. فهل هذا رأي الإنكليز مثلاً؟ (المترجم).

⁴ يصنف الجميع تبعاً للمذاهب بالتفصيل، باستثناء السنة. والغريب أنه يستبعد العرب ضمناً من بقية المذاهب والأديان! (المترجم).

منه ومعاقبته، إذا كانت هي التي اختارها لتمنحه الحماية، فإنه يلجأ إلى القنصلية البريطانية. وهكذا تسحبه إنكلترا من فرنسا، وبذلك يستمر المحمي في أعماله الفاضحة. وينتقل من ثم إلى روسيا والنمسا وإسبانيا وإلخ...؛ ثم يصبح ثرياً وهاماً ومعتبراً، وبالتالي يصبح قادراً على السخرية بدوره من الحكومة التركية ومن حماته وحمايتهم. لكل دولة رجالها وتراجمها وامرأؤها ومقاتلها أو خدمها، وعندما تستخدم إحداهما عربياً قادراً على القيام بأمر كثيرة، تستخدم الأخرى واحداً قادراً على القيام بكل شيء. وعلى هذا النحو يستمر الجميع.

(ص 48) انتهت عمليات التتقيب في جبيل، فحضر الطراد البخاري لو كولبير le Colbert، في 30 آذار، لينقل سرية المشاة القناصة إلى جوار طرطوس، في الموضع الذي كانت تقوم عليه ماراتوس قديماً... وصلنا في نفس اليوم مع مغيب الشمس بعد أن مررنا قبالة طرابلس، وكانت أمام ناظرنا طرطوس وجزيرة أرواد المشهورة. سهل فسيح أخضر يمتد من شاطئ البحر حتى سلسلة صغيرة من التلال تحده من الشرق. وإلى الجنوب ترتفع قمم لبنان الشاهقة المكلفة بالثلج حيث تسد الأفق. إلى الشمال تنتصب قلعة تمتد قاعدتها إلى البحر المتوسط: إنها طرطوس. أما جزيرة أرواد فهي مقابلها على بعد فرسخين من اليابسة، حيث تطل من البحر بيوتها الصغيرة التي تقارب الألف ومرفأها وأسورها القديمة، كما لو أنها نصف مدينة ما تزال ظاهرة بعد أن تعرضت للطوفان. وإلى البعيد في السهل نرى مشاهد غريبة وهائلة يترأى خيالها في السماء الصافية. أرخت لو كولبير مراساتها على مقربة من جزيرة أرواد.

طرطوس وقمم الشرق يقطنها النصيرية، قوم من الفقراء، في صراع دائم مع السلطات التركية وإرهاب السوريين. وما أن توقفنا حتى وصلتنا أخبار غير مطمئنة: جاء من يخبرنا من أرواد أن النصيرية يعارضون نزولنا؛ ثم أنهم باشرنا بزحفهم، وأخيراً أنهم حوالي ستة آلاف رجل يتخفون خلف كثبان الرمل على الشاطئ بانتظارنا. وبما أنه كان لا بد من النزول، تقرر أن الطراد يقترب صباح الغد ما أمكنه من الشاطئ فيكون جاهزاً لتمشيط الساحل بقذائفه، بينما سرية المشاة، حوالي مئة رجل، تتخذ موقعاً على تلة صغيرة معزولة، حيث يبدو الدفاع أسهل. وما أن تبلغ الموقع عليها البقاء فيه ثمانية وأربعين ساعة، في غضون ذلك يذهب الطراد ليأتي بالدعم. ولم تكد الشمس تبلغ الأفق حتى بدأت المناورة. اقترب الطراد ليقف بفأمة على 200م من اليابسة، وتم توزيع عبوات البارود على رماة المدفعية، وفتحت كوة السفينة فنزلنا منها إلى الزوارق. كانت الكثبان تحجب عنا الأرض تماماً. تقدمت السرية بصمت حتى المرتفع المحدد لها، ثم تسلفنا التلة ركضاً، وما أن بلغنا القمة حتى دوى صوت صارخ: "عاشت فرنسا!". نظرنا إلى تحتنا في السهل، فإذا بأرنب يدفعه هذا الصوت إلى التغلغل في العشب، شاهدناه يهرب إلى الشرق. كان ذلك هو الكائن الحي الوحيد الذي بدا لنا في الأفق...

(ص 60) (لوكرؤا أتياً من حماة فحمص يتابع كلامه) كان علينا المسير ليومين بعد، وقضاء الليل في قرية صغيرة، القصر (الأقصر El-Okser)، حيث كدنا نموت اغتياً على يد حوالي أربعين بدوياً، قبل بلوغ سهل البقاع وأول تضاريس لبنان. وبعد أن تابعنا سيرنا جنوباً، رغبتنا اجتياز لبنان والهبوط إلى الأرز على المقلب الآخر، ثم العودة ثانية إلى البقاع واجتيازه عرضاً حتى بعلبك.

استضافنا شيخ متوالي يقيم مع بعض الرعاة في عمق واد، وأوقد لنا ناراً قوية بإشعال شجرتي أرز. هذا الجانب من لبنان مغطى بالغابات. والكثير من أشجارها قد حرقه في مكانه المتأولة...

وصلنا أخيراً إلى أعلى قمة في لبنان. يا له من مشهد رائع يمتد أمامنا: إلى الشرق، البقاع والسلسلة الشرقية؛ إلى الشمال، السهول التي كنا قد عبرناها والصحراء التي هي امتداد لها؛ إلى الغرب، الساحل وجبيل وطرابلس والبترون، وآلاف وديان لبنان، الأرز، وأخيراً البحر الأزرق الفسيح الغارق في السماء. أما الأرز (ص 61) فهذه خدعة. فبالكاد لا نجد 10 أو 12 شجرة أرز جميلة فعلاً وتستحق الإعجاب. وهي الضائعة في خضم هذا المشهد الهائل، لا تبدو فيه غير مجرد نقشة. وفي وسطها بنى الموارنة كنيسة. لو كانت في فرنسا لكننا فتحنا فيها مقهى. وفي اليوم التالي عدنا أدرجانا وبلغنا بعلبك⁵.

إلى جبل عكار

بعد يومين على مغادرتي اللاذقية، انطلقت من طرابلس إلى حصن السفيرة وجبل عكار ومنابع العاصي. حصن السفيرة الواقع في الجبل العالي شرقي طرابلس هو معبد يوناني قائم اليوم في موضع أجرد، على قمة مرتفعة. كل هذا القسم من لبنان الممتد من أهدن والأرز حتى قلعة الحصن، أكثر القلاع غرابية وأقلها معرفة بها، مليء بالآثار؛ ولا يوجد أي درب ليرشد من يجوبه، ما يضطر الزائر على سلوك ممرات الجداول ويخوض الغابات ويتسلق الصخور. حصن السفير محفوظ بكامله تقريباً. ولعله كان صغيراً وبسيطاً: كانت تكفي لزيئته الخارجية بعض الأعمدة النائمة في أعلاها.

جبل عكار الذي دخلته في اليوم التالي تغطيه الغابات الكثيفة التي تقطعها الوديان الضيقة، وتتخلله الأنهار وممرات السيول، وهو موضع مهجور ووحشي تماماً، لم يزره الرحالة أبداً. ويكاد لا يتجاوز من قصده من الأوروبيين غير اثنين أو ثلاثة. تهبط الجبال في الوديان عمودياً كأنها الأسوار؛ ويغطي الثلج القمم حيث تتساقط منها شلالات تتلاشى بين الأشجار. لا يوجد في سورية نظير لهذا الموضع، هنا لا وجود للمنحدرات الحادة الجرداء والمزروعة بالحجارة، بل يوجد على العكس غابات، وأشجار شاهقة الارتفاع، والخرنوب والجميز، والعنب البري المتسلق على الأغصان مغطياً أشجار السنديان بقباب من الخضار تحرمه من الهواء وتخنقه أحياناً؛ ويحجب الياسمين البري الأدغال تحت (ص 62) خمار أبيض؛ والسرو ينبت جنباً إلى جنب مع الليمون؛ وتكثر فيه الأزهار بكثرة الأعشاب؛ ورود برية ونباتات معترشة وبخور مريم ونباتات زاحفة؛ نبات أوروبا ونبات آسيا يجتمعان في الوهاد حيثما توفر لها قليل من الضوء ومن الماء.

(يومان في القبيات⁶)

سكانه المنفردون، على قلتهم من النصيرية والمتاولة والمسيحيين أو المسلمين، يعيشون في بعض مواضع هذه المناطق المعزولة. اللصوصية فيه منظمة على نطاق واسع. هناك من ينهب، وينصب الكمائن، ويقتل. وقلما يخرج السكان من جبالهم: لا تتوفر لهم الطرق للتواصل مع بقية سورية؛ منعزلون في الغابات فقلما يسافرون، وبالكاد وضعوا بعض جذوع الأشجار على الأنهار الكبرى كجسر للعبور. بيد انه في وسط هذه المنطقة، في القبيات، coubaiat،

⁵ من الغريب أن مساعد إرنست رنان مرّ بالقرب من وادي بريس، ولعله بات فيها عندما حدثنا عن الشيخ المتوالي الذي استقبله مع الرعيان في وادي سحق، ومع ذلك لم يسأل عنها! ترى ألم يخبره رنان بما قاله له الحجار في مشنقة، عن بريسما والتماثيل الكبيرة والنقوش؟ والغريب أيضاً أن لوكرولا لم يذكر مرج حين. فهل يفوته منظرها، إذ صعد الجبل وصولاً إلى مشاهدة الأرز، أتياً على ما يبدو من جوار الهرمل؟! (المترجم).

⁶ هذا العنوان الفرعي ليس من وضع المؤلف، بل من وضع المترجم، ما اقتضى التنويه.

ثمة راهبان أحدهما من نيس⁷ Nice والآخر من أريزو⁸ Arezzo أتوا إلى هنا لبناء دير يعيشون فيه لوحدهما. بقيت يومين عندهما، فوجدتهما لا البعد عن الوطن ولا بؤس مفاهما الإرادي ولا اختلاطهما المستمر بالعرب قد أضعف من لطافتها الودودة، من هذه اللياقة المرهفة التي تميز في كل مكان الإكليروس الإيطالي.

عدت من جديد إلى قلعة الحصن، ومنها إلى الشرق في السهول المحيطة بحمص، ومن ثم في الصحراء...

ثم عدت إلى البقاع، وبلغت منبع نهر العاصي عند سفح لبنان، ينطلق من حوض عميق تظله أشجار باسقة. يبدأ النهر كسيل مندفع في الربيع... على مسافة قصيرة منه ينتصب في السهل النصب المعروف باسم قنليس⁹ الهرمل Kanlis-el-Hurmul، قاموع الهرمل. يستند إلى قاعدة من خمس درجات ويتألف من ثلاثة أجزاء: مكعبين فوق بعضهما وهرم. عند كل زاوية منه يوجد عمود، وعلى كل أوجه المكعب الأول نقش تمثال. يبدو أن هذا النصب البالغ الأهمية يعود إلى الزمن الروماني. ثمة مجموعة من المغاور تحمل اسم مار مارون موجودة في وادي نهر العاصي، على مقربة من منبعه. يشكل ذلك داراً بثلاثة طوابق مفرغاً بكليته داخل الجبل؛ نوافذه وأبوابه وخزائنه وأدراجها كلها محفورة بعناية كبيرة في الغرانيت. وكل ذلك اليوم مهجور. وبعد ان اجتزت لبنان مجدداً¹⁰، قضيت يومين في طرابلس، ثم صعدت إلى الجبل المسيحي.

في تتورين صادفت البطريرك الماروني في جولة رعوية، ممتطياً بغلة بيضاء، مرتدياً ثوباً أحمر، ويتبعه الأساقفة. كان يتجول في كل البلاد وسط ترحيب الشعب المتجمع على طريقه. كانت المنحدرات والدروب الوعرة والصخور مغطاة بالبشر؛ وكانت الوديان تردد صدى طلقات البنادق ودوي الهتافات. تناول البطريرك طعام الغداء في تتورين: قدموا لنا خروفين محشوين بالرز. أما الخبز الموضوع تحت الطاولة، تبعاً لعادة البلاد، فقد كان بمثابة وسادات تحت أقدام الضيوف العارية...

نص إرنست رنان¹¹

(ص 114) ليس لدينا غير القليل من المعطيات لنضيفه إلى تلك المعروفة عن السهل الواسع والمقفر الممتد من عمريت Amrit إلى طرابلس. فآثار هذه المنطقة من أكثر آثار سورية عمقاً وأكثرها صعوبة في استكشافها. لقد نجم تخلف سورية دوماً عن هؤلاء البدو اللصوص (أكراد، ص 115) عرب، إلخ) الذين لم تتمكن أي إمبراطورية من إخضاعهم. وإذا كان الجبل قد حفظ الساحل الممتد جنوبي طرابلس من غزواتهم، فإن شيئاً لا يقف عقبة بوجههم ما أن يدخلوا الفرجة القائمة عند طرف جبل عكار، حيث كانت هذه العشائر تصل إلى البحر كالسيل الجارف. بيد أنه تندر المناطق المشابهة لهذه المنطقة بما حبتها الطبيعة من مزايا. ففي

⁷ مدينة فرنسية، ثاني مدينة بعد مرسيليا في منطقة بروفنس ألپ Prvence-Alpes. (المترجم).

⁸ اسم مدينة إيطالية هي عاصمة مقاطعة أريزو في توسكانة. (المترجم)

⁹ لماذا كتب اسم قاموع الهرمل على هذه الشاكلة مع أنه وارد في نص "بعثة إلى فينيقيا" بشكله السليم Kamo el-Hurmul.

¹⁰ مرة أخرى لا يأتي على ذكر وادي بريصا والنقوش البابلية فيها، (المترجم).

¹¹ مصدر هذا النص المترجم: Ernest RENAN, Mission de Phénicie, Paris, 1864, (Chapitre IV, Environs de Tortose..., p. 114-128). (المترجم).

كل مكان منها تغطي الأرض طبقة سميكة من التربة الخصبة، كما يخترقها الكثير من مجاري المياه، أهمها النهر الكبير. إنه من أهم أنهار سورية، وهو المعروف قديماً باسم إلوثيروس Eleutherus. كما سماه البحارة اليونان إلفيتوس Elfletos، كتصحيح لاسم *Ἐλευθερος* (12). إن مثل هذه العناصر في خصوبة الأرض، ومزايا الموقع الجغرافي الذي يربط هذه المنطقة عبر وادي النهر الكبير (البقيعة) بسورية الداخلية (البقاع)، لما يُفسر أسباب نشوء المدن العظيمة الأهمية، منذ أقدم العصور في هذه البقعة. وإزاء كل خطوة يخطوها المرء يجد أمامه العاديات والآثار. ولقد كانت دوائر المدن المهجورة، لعدة قرون خلت، مواقع منها توفرت المواد اللازمة لما بناه الفرنجة والمسلمون في مناطق طرطوس وطرابلس.

ومما لا ريب فيه أنه علينا أن نحدد في هذا السهل موقعي اثنتين من أقدم المدن في العالم، وهما مدينتا سمرة *Σμρα* وعرقة *Ἐρρα* اللتان ورد اسمهما في الفصل العاشر من سفر التكوين، إلى جانب الأرواديين. ولقد ظهر اسم السماريين في مرحلة لاحقة في سيميرا Simyra، التي يجب موضعتها على ما يبدو في موقع زمرة Zimreh أو سمرة Sumrah، بالقرب من النهر الكبير¹³. وليس هناك أدنى شك بوجود البحث عن عاصمة العرقيين في عرقة أو قيصرية لبنان، فتل عرقة، الواقع على 20 كلم شمالي شرقي طرابلس، يعتبر حقل آثار عظيمة¹⁴. ولا ريب في أن أهمية المدينة في العصر الروماني وفي زمن الصليبيين تستند إلى إرث يعود إلى زمن أقدم بكثير. (ص 116) ولقد أخبرني الخوري السمعاني، من طرابلس، أنه لاحظ نقشاً في تل عرقة، بالقرب من قنطرة الجسر¹⁵.

ثمة مواقع سكنية أخرى عديدة وجدت سابقاً في هذا السهل الخصب¹⁶. منها مدينة واحدة، غير التي ذكرناها، بلغت شيئاً من الشهرة: إنها مدينة أرتوسية Orthosie. ويجب على الأرجح البحث عن موقعها في موضع أرتوسي Arthusi، على مسافة 12 كلم شمالي طرابلس، على شاطئ البحر، بالقرب من مصب النهر البارد¹⁷. لقد اندثرت كل أبنيتها، بل إن أرضها تعرضت للتقريب على عمق كبير.

لم نقم بغير استكشاف مقتضب لجبل عكار الذي يلفت النظر، على العموم، بروعة طبيعته البكر وبسحره كمنطقة برية¹⁸ أكثر مما هو بفعل ما فيه من آثار عظيمة. إن السيد لوكروا Lokroy هو الذي قام بجولة سريعة في هذه النواحي التي رسم معالمها، بعناية فائقة، في تقرير

¹² أدين بهذه المعلومات وبكثير غيرها مما يتعلق بمنطقة طرابلس إلى السيد بلانش Blanche، نائب قنصل فرنسا في طرابلس.

¹³ ثمة موقع آخر باسم زمرة Zimreh، هو مدينة مندثرة تقع بين طرطوس والمرقب حيث يوجد قضاء زميرين Zimrin. ولكننا لا نستطيع أن نعين في تلك الناحية موضع سيميرا Simyra التي ذكرها سترابون، والتي يجب تعيينها بلا ريب في موقع مدينة *Σμρα*. Voy. Shaw, Voyages, II, p. 7; Movers, Die Phœn. I, 1, p. 115, note; Ritter, XVII, p. 65 et 880.

¹⁴ Thomson, Bibliotheca sacra, V, p. 15-17.

¹⁵ ثمة مدينة أخرى أشار إليها رنان (Mission, p. 111) يذكر سفر التكوين اسم مؤسسها مع ذكره للصمانيين والعرقيين، إنها مدينة السن وسكانها السينيون: "يعين بروكار (يسند رنان كلامه هنا، في الحاشية رقم 2 من الصفحة 111، إلى: Rudimentum novitiorum, fol. 168 a, p. 29 de l'édition de M. Laurent, Leipzig, 1864) بالقرب من عرقة مدينة السن أو السينوشيس Syn ou Synochis التي ذكرها سفر التكوين" يتابع رنان في نفس المكان قوله: "إن مدينة بلدة Baldeh الواقعة بالقرب من قلعة راي السن Kalaat Rey el-Sein هي بالثوس Paltus القديمة". يهنا الإشارة هنا إلى أن قرية "مزرعة بلدة" ليست بعيدة كثيراً إلى شمالي غربي موقع السن في عكار. فهل من صلة ما، ولو بالتسمية بين "مزرعة بلدة" وبالثوس؟ (المترجم).

¹⁶ Thomson, Bibliotheca sacra, V, p. 14-15.

¹⁷ Shaw, loc. cit., Ritter, p. 805 et suiv.; John Kenrick, Phœnicia (Londres, 1855), p. 7-8

عين سترابون، XVI, II, 13, 15، أرتوسية شمال إلوثيروس، وافترضها معظم الطبوغرافيين أبعد إلى الشمال في الموضع الذي حددناه لها. ولكن بطليموس، 2، Ptolémée, V, XV، وضعها بصواب جنوبي مصب إلوثيروس، بل إنه يضع سيميرا بين هذا المصب وأرتوسية. ولقد سبق لنا أن بينا أنه من العبث ماثلة أرتوسية بطرطوس.

¹⁸ راجع: Thomson, Bibliotheca sacra, V, p. 19 et sui. مع ملاحظة أن أسماء العلم تعرضت للتشويه بفعل الكثير من الأخطاء المطبعية.

طوبوغرافي، السادة ضباط قيادة البعثة العسكرية إلى سورية. قبل هذه الأبحاث كان جبل عكار أرضاً مجهولة. سأقدم هنا بعض الملاحظات التي جمعها السيد لوكرها في هذه الجولة: "بعد أن غادرت حوارة Hawara، متجهاً إلى عكار، مررت بقرية عدبل Debel ou Debail حيث عثرت على الكثير من الحجارة التي بدت بوضوح أنها قديمة. وإلى الأسفل، في النبي موسى، عثرت في قعر الوادي على بقايا أبنية على شيء من الضخامة، مستورة خلف أشجار الغابة؛ بيد أنه مع الأسف تم استعمال حجارتها في بناء قرية صغيرة، ولم أتمكن من العثور على غير بقايا عمود وبعض الحجارة المنحوتة.

"تحتوي منازل جبرائيل Abraïl حجارة قديمة بالتأكيد. وفي بلدة عكار، ثمة من قادني إلى برج مبني بحجارة صغيرة، تعرفت فيه إلى بناء إسلامي الطراز بالنظر إلى شكل بابه ذي القوس القوطية، والمزين ببلاطات سوداء وبيضاء على التوالي.

(آثار القببات)

(ص 117) "تشكل القببات Cobbaïet نوعاً من مركز لهذه المناطق النائية. بالقرب منها، في حلسبان El-Iesbey، ثمة بناء شاسع قديم، بقي منه جدران. حجارته كبيرة جداً، ولا تحمل أثر الملاط، وهي مبنية بطريقة رائعة، فوجه الحجر المعد ليلتقي بحجر آخر مقعر قليلاً، مما يجعل الحجرين يتركان بينهما نوعاً من مجال فارغ، وهو محجوب تماماً عن الخارج خلف حافتي التعفير اللتين تتلامسان. لم أرَ بقايا أعمدة، ولكني لاحظت وجود كوة مربعة داخل الحائط كذلك الموجودة في قلعة صربا، يحيطها إطار من الطراز اليوناني.

"ومن هناك اتجهت إلى مكان قريب، بوتويج Boutouedj، لأرى ما وُصف لي بأنه آثار مثيرة، فلم أجد غير منزل من الواضح أنه حديث البناء. وبينما كنت أتفحص الجوار لاحظت وجود حجرة عميقة محفورة في الصخر، ولكنها قليلة الأهمية".

انتقل لوكرها من جبل عكار إلى قلعة الحصن، ومن هناك بلغ وادي العاصي. ويتابع لوكرها: "وجدت في تل النبي مندوم¹⁹ (مند) Tell el-Nabi Mindaum، على مقربة من قرية الأقصر (القصر) El-Okser كثيراً من بقايا الأعمدة، وصفاً متكاملًا من الأعمدة التي لم يبقَ منها غير القواعد. لم أجد في جوسية القديمة التي وُصفت لي بأنها موقعاً أثرياً²⁰ غير برجين بناؤهما غير متقن، ومن حجارة كثيرة الشبه بحجارة قلعة جبيل".

كان نصب الهرمل الشهير هو الغرض الأساسي الذي من أجله أرسلت السيد لوكرها إلى تلك النواحي²¹. وجاء السيد لوكرها من هناك برسم للنصب أفضل من تلك الرسوم الموضوعة عنه حتى الآن²².

¹⁹ هي لاذقية لبنان.

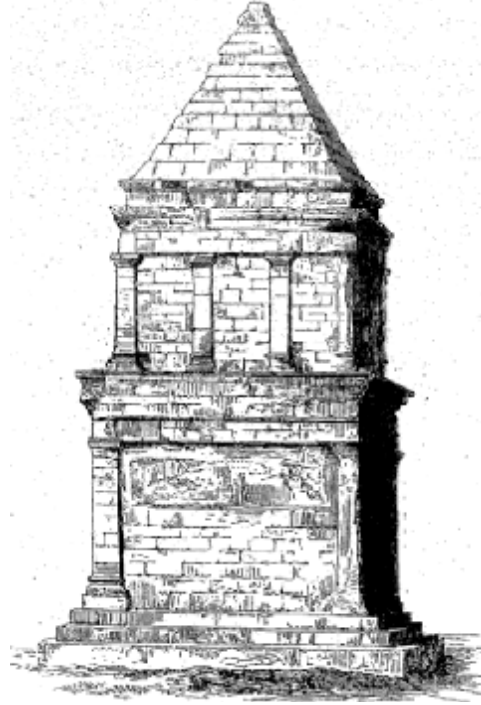
²⁰ هي باراديزوس Paradisus القديمة، حسب روبنسون Robinson.

²¹ أخبرني أحد العاملين في تقطيع الحجارة في مشنقة Maschnaka أنه شاهد في بريسا Berisa فوق الهرمل نفوشاً وتمائيل ضخمة تمثل "رجالاً ونساء". فما هي بريسا هذه؟

²² راجع: Thomson, Bibliotheca sacra, IV, 405; V, 695-96, et The Land and the Book, I, 362 et suiv.

Robinson, Bibl. Res. III, 542 et suiv. Van de Velde, Reise, p. 389; Ritter, XVII, 161 et suiv.

الذي يقدمه طومسون سيء. يبدو أن كاساس Cassas مرّ في هذا الموقع، ولكن الرسم الذي وضعه لا يساوي شيئاً على الإطلاق.



يقول لوكرؤا: "تم تصميم النصب المعروف باسم "قاموع الهرمل" Kamoal el- Hurmul بنفس مخطط قبب عمريت Amrit، ولكنه منفذ بمقاييس أكبر بكثير وبوسائل مناقضة تماماً. فالحجارة المستعملة هنا صغيرة، وبما أن الزمن لم يأت عليها كثيراً فإن مجموعها يبدو وكأنه حديث البناء نسبياً. يستند النصب إلى قاعدة مكونة من خمس درجات من الحجر الأسود. وهو (ص 118) يقسم إلى ثلاثة أقسام: مكعبان فوق بعضهما، فوقهما هرم. ويوجد على كل زاوية عمود ناتئ خارج الزاوية، ويزين كل وجه من وجوه المكعب الأسفل نقش يمثل حيوانات وأسلحة وعدة للصيد. أما المكعب الأعلى فلا يزينه غير أعمدة قليلة البروز. وهذا النصب غير فارغ، ما تبيناه بسهولة بحكم انهيار جهته الجنوبية الغربية. قادتني مقارنة النصب بمغازيل Méghazil عمريت بالطبع، إلى البحث عن مدخل لمدفن في الجوار. لم أعثر على شيء. وعلى العموم، بعد معاينتي المتأنية للتنوءات والأعمدة وطريقة تنفيذ النقوش والحجارة التي أظن أنني تعرفت على أثر الملاط فيما بينها، بدا لي أن هذا الضريح لا يمكنه أن يعود إلى الزمن السحيق لنصب عمريت".

إنني أتبنى هذا الشعور تماماً. وبرأبي، أخطأ راولنسون Rawlinson عندما اعتبر نصب الهرمل ضريحاً (ص 119) آشورياً قديماً²³: إنه ما يمكن أن نسميه نصباً سورياً حديثاً néo-syrien، مبنياً في زمن حديث على الطراز العام للنصب القديمة في البلاد (هرم رباعي فوق مكعب). وإنا لنصادف نفس الأشكال في ضريح سمسغراموس، بالقرب من حمص، وهو يعود إلى زمن الأنطونيين²⁴ Antonins. نجد اسم هرمل هذا في لبنان، في موضع يُسمى الناوس

²³ راجع: Ritter, XVII, 162. كان طومسون في البداية مؤيداً لهذا الرأي، Bibliotheca sacra, IV, 1847, 405، ولكنه عاد لاحقاً وجعل النصب في أيام السلوقيين. كما اعتبره دو فوريسست de Forest من صنع أنطيوخوس سيديتيس Antiochus Sidetes: Journal of the American Oriental Society, III, 356. راجع حول الآراء التي كونها العرب عن هذا

النصب: Reinaud, Géographie d'Aboulfida, II, 62, note 1.

²⁴ Laborde, Voyage de la Syrie, pl. V ; Cassas, Voyage en Syrie, vol. I, pl. n^{os} 21, 22, 23, 23 bis. Cf. Corpus inscr. græc. n^o 4511, texte qui répond aux chicanes du P. Bourquenoud, Etudes religieuses, hist. Et litt. publiées par des Pères de la société de Jésus, sept. oct. 1863, p. 844-845.

Naxos، بالقرب من قرية شبطين²⁵. وهو يعني جمل *chameau*، هذا الاسم الذي كان يحلو لمخيلة العرب الغربية أن تصف به القبور القديمة. وإني لأتساءل ما إذا كان هناك بعض الالتباس، وما إذا كان الاشتقاق الأولي للاسم هو من كلمة "هرم"، أو ما إذا كان الحرف ل نوعاً من أدوات التصغير، أو أن أصل هذا الحرف ل في أيل "إله".

"أظن أن مار مارون²⁶، الواقع على مقربة من "عين العاصي" إلى الجنوب، كان مجموعة من المغاور الطبيعية، تم نحتها بانتظام من الداخل، واستخدمت عبر عصور مختلفة، كمساكن أو كحصن. كان العمل في تفرغها هائلاً، ويذكر بالجهد المبذول في مغارة جيبيل الكبيرة. وثمة بناء حديث نسبياً، تتخلله كوات للرمي يحجب المغاور كلياً، ويجعل الناظر من وادي العاصي إلى هذا المكان لا يرى غير حائط جديد تماماً يستند إلى الصخور. وبعد اجتياز نتوء وعر وصلنا أخيراً، باستعمال نوع من صقالة، إلى غرفة قدرتها بعمق 8 أمتار وبعرض 14 متراً. وهذه الغرفة مقسومة نصفياً بحاجز صخري ضخم. وعلى اليمين ثمة باب يؤدي إلى غرفة أخرى أصغر منها، ولكنها أفضل منها نحتاً؛ وهناك باب ثان في آخر الغرفة يفتح على غرفة ثالثة بحجم الأولي، وتحتوي على بضع كوات، قوسها الأعلى عبارة عن عقد كامل بارز الملامح. وإلى يسار ونهاية هذه الغرفة نفسها هناك درج محفور في الصخر يؤدي إلى الطابق العلوي. وهنا ثمة ممر ينتهي بنوع من الصومعة حيث لاحظت وجود كوة. أخيراً، نصل بواسطة جذع شجرة، ومن خلال فتحة (ص 120) في سقف الممر، إلى طابق ثالث أوسع من الثاني، ولكن يبدو أن بناءه لم ينجز أبداً. كان يضم ثلاث غرف وبضع كوات. وهنا أيضاً فإن بناء النوافذ حديث، وكذلك عتبة الأبواب".

بما أن كل منطقة طرطوس وطرابلس قلما هي معروفة، أرى من اللزوم أن أدرج هنا لمحة تاريخية هامة، أعدها لي كاهن ماروني من طرابلس، ينتمي إلى عائلة السمعاني المشهورة، وهو جدير بالاسم الذي يحمله لتذوقه العلم. إن تأكيدات هذا الكاهن المحترم قد تحتاج، في بعض المسائل، إلى التصحيح أو التدقيق، ولكن الدهشة ستأخذنا بالأحرى لأنه تمكن من الوصول إلى مثل هذه النتائج، باستناده إلى القليل من المصادر وفي ظروف غير ملائمة للغاية.

نبذة تاريخية حول أبرشية طرابلس الشام²⁷

طرابلس:

توفي الأمير بوموندو Baomondo عام 1287. وكان قد بنى قصراً صغيراً في مقاطعة الكورة، استولى عليه لاحقاً الروم الأرثوذكس وحولوه إلى دير لرهبانهم، وهو لا يزال حتى الآن، وأطلق عليه اسم دير سيدة البلمند²⁸.

عندما علم السلطان قلاوون بالمشاكل التي يعانيتها الفرنجة في طرابلس زحف بجيش هائل، وكتب إلى والي دمشق حسن الدين لملاقاته بقواته. بدأ الحصار على طرابلس يوم الجمعة في الأول من شهر ربيع الأول، واستمر ثلاثين يوماً. وهكذا سقطت المدينة بعد هذا الحصار

²⁵ يرى العقيد شيني Cheney أن عبارة الهرمل يُقصد بها اسم لقضاء: The expedition for the Survey of the rivers Euphrate and Tigris, I, 454.

²⁶ مغارة الراهب عند أبي الفدا: Reinaud, Géogr. d'Aboulféda, II, p. 62.

²⁷ نشر رنان هذه النبذة التاريخية في مؤلفه Mission..., p. 120-128، وجاءت باللغة الإيطالية: Nota Storica, sulla diocesi della città di Tripoli di Syria. وقامت بترجمتها إلى العربية الأنسة جوزفين عبود مشكورة.

²⁸ يتم عادة اشتقاق هذا الاسم من: Belmonte, Beaumont. قران بين ما جاء في Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, VI, p. 421-422 وما جاء في "كتاب الدر المنظوم، المنشور بالعربية للبطريك الماروني مسعد، مطبعة دير طاميش، 1863، ص 244.

الدموي من قبل المسلمين، ومات فيه الكثير من الجانبين، وقتل كذلك الكثير من المسيحيين الذين جاؤوا من الجبال لمساعدة الفرنجة.

يقول المؤرخ ابن أيوب Eben-Ajub، وكان شاهد عيان: "اجتاز المسلمون على خيلهم البحر حتى وصلوا إلى جزيرة القديس توما، وكانت تعرف باسم جزيرة النخل، وهناك قتلوا الكثير من الرجال والنساء الذين هربوا إلى تلك الجزيرة، وأسروا البعض منهم، وأعطى السلطان أوامره بتدمير المدن الثلاث المكونة لطرابلس. ثم تم بناء المدينة الجديدة في "وادي الكنايس"²⁹ (الكنايس) على مسافة ميل من مدينة طرابلس القديمة. وتم تحويل الكنائس إلى جوامع، وبقيت الأديرة على حالها (دون تدمير) وتحولت إلى مدارس لتعليم أبناء الأتراك³⁰، وما تزال على هذه الحال حتى يومنا. وتم تحويل ممتلكات الكنائس إلى الجوامع والمدارس. استمر الفرنجة مسيطرين على طرابلس مدة 178 سنة. ومن هناك مرت جيوش المسلمين إلى جبل لبنان وكسروان، فدمروا وأحرقوا البلاد. لقد قُتل الفرنجة الذين هربوا للالتجاء عند مسيحيي الجبل، وقُتل مسيحيو الجبل الذين استقبلوهم وساعدوهم. هكذا جاء وصف الأمور عند المؤرخ المسلم. بعد الحروب الصليبية صارت المدينة مقراً لمطران النساطرة، وكان يوجد فيها معهد تابع لهم. وفي هذه المدينة تابع ابن العبري، الكاتب السرياني الشهير بمفريان الشرق، دراساته. وبقيت في طرابلس كنيسة صغيرة للسريان، وهي الآن ملك الموارنة. وفيها أيضاً مزار على اسم القديس بهمان S. Bahaman، وذلك كما لاحظ نسيبي المونسنيور يوسف السمعاني في مجلداته الأربعة في روما والمشهورة بعنوان "المكتبة الشرقية" Biblioteca orientale.

طرابلس اليوم هي مقر الأسقف الماروني، المطران بولس مسعد؛ ومقر لأسقف الروم الأرثوذكس، المطران صوفرونيو، وهو من مواليد دمشق؛ ومؤخراً تعين فيها أسقف للروم الكاثوليك، المونسنيور إيوتنجي Iutungui، من مواليد حلب، وهو لم يستمر مقيماً في المدينة لقلّة حجم رعيته.

ثمة آثار متنوعة في هذه المدينة، ولكن مرور الزمن أدى إلى تلفها. وأتلف المسلمون النقوش والكتابات والآثار الدالة على الأمراء المسيحيين، ووضعوا مكانها كتابات عربية، وفي وقت قصير غيروا واجهة الأبنية الكبيرة. ويبدو اليوم وجود الفن الهندسي الذي لم يكن معروفاً عند المسلمين. ويوجد فوق حمام شعاع مكون من غزال إلى جانبه غزالين صغيرين يرضعان. وعلى واجهة هذا البناء الضخم الذي كان كنيسة نستطيع قراءة اسم القديس يعقوب S. JACOBUS منقوشاً بالحروف اللاتينية.

بالنسبة للعائلات المسلمة (التركية) لا توجد بينها عائلة عريقة في طرابلس. ولكن لا تزال توجد عائلة مارونية معروفة باسم البرنس، وهي لفظة فرنسية، ويُقال أنها عائلة قديمة موجودة منذ الحروب الصليبية.

الكورة:

استمدت هذه المقاطعة اسمها من شكلها الجغرافي. ويسكنها حالياً المسلمون (الأتراك) والروم الأرثوذكس والموارنة والمتنوعة أتباع علي. كانت هذه المقاطعة قديماً تابعة لولاية طرابلس. ومنذ حوالي 450 سنة نقل إليها السلطان سليم من كردستان عائلة من الأمراء الأيوبيين، وولاهم حكم هذه المقاطعة، ليكونوا سداً بوجه تعديت "أمير حمادي" (حمادة)، حاكم الجبل المشرف على طرابلس. ولقد احتل هؤلاء الأمراء الكثير من القرى وتكاثروا وازداد عددهم. وعندما جاءت عائلة "بيت العذار" استولت على قرية أميون، في ظل حكم الأمير يوسف

²⁹ هكذا وردت العبارة في أصل النص بالإيطالية وبالعربية معاً: Wadi-Elkenaies وادي الكنايس.

³⁰ تعني كلمة تركي، في لغة الموارنة الذين يحسنون اللغة الإيطالية، المسلم.

شهاب، واضطر الأمراء الأكراد إلى التخلي عن نصف مقاطعة الكورة. وهذا ما أدى إلى قسمة الكورة قسمين: الكورة "كورة العالية"، والكورة "كورة التحتا". الكورة التحتا بيد الأمراء الأكراد الذين افتقروا تدريجياً وصاروا مؤخراً فاقدى الوجهة، وخسروا حكم المقاطعة. وكان مقرهم القديم راس نحاش في القلعة "القلع"³¹ Ras-Necas nel Kalâ، وهم يملكون ثلاث كنائس مندثرة يعود بناؤها إلى زمن أباطرة القسطنطينية. وأفضل كنيسة توجد في قرية النخلة، وسُميت بهذا الاسم لأنها تقع في أعلى موقع في الكورة. ولقد احتفظ الأمراء الأكراد بلقبهم على الرغم من افتقارهم، وإلخ.

"الكورة الفوقة": تتبع حالياً حكام الجبل، وهي الآن بيد بعض وجهاء بيت العذار، وهم من الروم الأرثوذكس. يعود أصل هذه العائلة إلى رجل أتى من قرية "أزرع" في حوران، وسكن أميون عاصمة هذه المقاطعة، واستولى على كثير من الأراضي. وحصل من والي طرابلس على الحق في مشاركة الأمراء الأكراد في حكم مقاطعة الكورة، ومن ثم تقاسم معهم الأراضي، كما تقاسم السلطة.

اشتهر أحد هؤلاء الأعيان من الروم الأرثوذكس، وكان يُدعى باسم مرعب لشجاعته ومواهبه، ومن خلال حنكته حصل على حكم كل عكار من الباشا حاكم طرابلس، واستمر حكمه في عكار سبع سنين. هذه العائلة فقيرة حالياً، ولقد تكاثرت وازداد عددها، وكانت قد حصلت على حكم المقاطعة من حكام الجبل، وفقدت هذا الحكم بفعل الترتيبات الجديدة.

الزاوية:

استمدت هذه المقاطعة اسمها من طبيعتها الجغرافية على شكل زاوية. يقطنها الموارنة والمسلمون والقليل من الروم الأرثوذكس. كانت سابقاً تابعة للحكم في طرابلس. ثم حكمتها عائلة حمادي، ثم استولى عليها حكام الجبل، وصارت بيد عائلة مارونية من "بيت الضاهر". وأصل هذه العائلة من قرية "بقوفا" التي هدمها الثلج الكثيف، وبعد ذلك حرقها سكان إهدن، وكان بعض الهرطقة اليعاقبة أتوا إليها من الزاوية، وأقاموا في قرية "كفرحوري" Kafarhaura، عام 1600 ميلادي. وحصل أحدهم "الشيخ مخايل"، وكان قد صار مشهوراً، على حكم المقاطعة للمرة الأولى من الباشا والي طرابلس. وحافظ على حكم المقاطعة حتى يومنا هذا، وصار سيد الأراضي والأملاك في كل هذه المقاطعة حتى النهر البارد على حدود عكار. واشتهر من هذه العائلة المدعو كنعان باستعمال السلاح وركوب الخيل، فصار مضرب الأمثال. ولكن المسلمين حسدوه ووشوا به، فزجه والي طرابلس في السجن. ولم يكن قد ارتكب أي جريمة، ولكن بسبب أنه مسيحي. وأعدم بقطع رأسه في 2 شباط 1740، فأخذ المسيحيون جسده ودفنوه في طرابلس. وحتى الآن لا يزال حكم هذه المقاطعة بيد آل الضاهر، ولكنها أصبحت ضعيفة.

"الضنية":

أصل اسم هذه المقاطعة يوناني: داناوس Danaos، ولا يزال فيها حتى الآن الكثير من الآثار والكتابات اليونانية القديمة، وفيها أيضاً معبد إلهة الصيد ديانا Diana Iddio، ولعله لذلك سُميت الضنية. وهذه المقاطعة كناية عن غابة للصيد، تقع ضمن سلسلة جبال لبنان. يقطن هذه المقاطعة مسلمون وموارنة وروم أرثوذكس. وتحكمها عائلة "بيت رعد"، وكانت قديماً تابعة لحكم الجبل، ولكنها تتبع اليوم لباشا طرابلس. وحكمتها عائلة "حمادي" لفترة طويلة حتى أيام الأمير "إسماعيل حمادي". لم يحفظ أولاده نهج أسلافهم في تأمين العدالة وصون الحرية. وبعد ذلك برز رجل من الضنية، حسين ديب، فتأمر عليهم، واضطر أمراء عائلة حمادي، بعد عدة

³¹ هكذا وردت هذه العبارة وغيرها (وضعناها بين مزدوجين) في العربية ضمن النص الإيطالي.

معارك، إلى ترك المقاطعة. وقبل حكم الحماديين، وفي أيام حكم "بيت صيفا" (سيفا)، جاء إلى الضنية السيد رعد من حوران، وصار صديقاً لعائلة سيفا الحاكمة في مدينة طرابلس. خدم رعد بيت صيفا بإخلاص لعدة سنوات، وكافأه هؤلاء بإقطاعه حكم الضنية. ومن هنا صارت هذه المقاطعة بيد بيت رعد، وهم حتى الآن حكامها المسالمون. وهكذا انتقل الحكم إلى ابنه محمد رعد، ومن بعده لأحفاده، وصاروا مالكين لكل المقاطعة، وأوضاعهم الآن حسنة.

عكار:

كانت هذه المقاطعة في السابق تابعة لحكام الجبل. وفي زمن الأباطرة اليونان كانت مزدهرة، وانتشرت فيها المسيحية، كما يُستدل على ذلك من بقايا الكنائس القديمة، ومن خلال الأراضي الخصبة. كانت عاصمتها مدينة عكار، وهي اليوم قرية صغيرة يقطنها المسلمون وبعض المسيحيين، وفيها آثار مدينة كبيرة. سيطر عليها الصليبيون بعد معركة طويلة وضارية. ومن هناك انتقلوا إلى محاصرة مدينة "عرقا" القائمة على رأس السهل. دمرت الجيوش الإسلامية عرقا بعد محاصرتها لعدة سنوات، ولما لم يتمكنوا من إخضاعها أقاموا الحصون حولها وشددوا الحصار حتى أجبروا سكانها على الاستسلام. وبعد سيطرة المسلمين عليها دمروها تدميراً كاملاً، ولا تزال آثارها قائمة حتى الآن، حيث يوجد الكثير من الدهاليز، بالإضافة إلى جسر نهر عرقا. وثمة دهليز ينطلق من الجسر ويؤدي إلى قلعة المدينة. وهذه المدينة هي الآن مقر الأسقف الماروني المونسيور جوزيف مارد Marid، النائب البطريركي.

هاجر مسيحيو هذه المقاطعة، مع الزمن، إلى جبل لبنان ليتحرروا من عبودية المسلمين. ولهذا يوجد فيها الكثير من آثار الكنائس القديمة. وحتى الآن ما يزال الكثير من مواضع هذه المقاطعة يحمل اسم هذا القديس أو ذاك. ولكن هذه المواضع هي الآن بيد المسلمين. يقطن هذه المقاطعة الموارنة والروم والمسلمون (الأتراك) والتركمان والأكراد والإسماعيليون والنصيرية والمتاولة والعرب الرحل.

يبلغ المسيحيون ثلثي عدد السكان. وثلث الباقي من الكفار الملحدين. كانت هذه المقاطعة تابعة دوماً للحكم في طرابلس. وفي ظل حكم "بيت صيفا" (سيفا) كان يحكمها مسيحي وأحياناً مسلم. وعندما سيطرت عائلة الأمير حمادى على الجبل، حكمت عكار أيضاً لعدة سنوات، واضطر باشا طرابلس، مع الوقت، إلى طرد عائلة حمادى، فتأمر مع "الشيخ شديد مرعب"، وقام هذا الأخير وقتل فجأة عيسى حمادة، في دير "حماطورا"، في 22 آذار 1714. فكان آخر حكام مقاطعة عكار من عائلة حمادى. وكافأ والي طرابلس شديد مرعب فولاه حكم عكار.

عائلة مرعب كردية الأصل، من "أكراد الرشواني" التي كانت تعيش قبائلها بين مرعش و"بسناق" Posna. وترك أحد هؤلاء موطنه، وهو مرعب، وكان معه أشقاؤه، وجاء ليقوم في عكار. توفي الأشقاء وبقي مرعب لوحده. وصار معروفاً في المقاطعة. وتوفي عن ولدين، تامر وداود وهما اللذان تملكا عكار، وأصبحا مقربين من والي طرابلس. خلف تامر أولاداً حافظوا على اسم العائلة، وما زالوا معروفين باسم مرعب. وأبناء أخيه داود يُعرفون باسم "داودة"، وهم الآن أغوات "بيري" (البيرة) في عكار. والمدعو شديد هو الذي قتل عيسى حمادى في حماطورا، وهو ابن مرعب. ومن أحفاده هناك باشا، وأبناء الباشا أصبح لقبهم "بيك"، ولهذا يوجد في هذه العائلة بكوات، وهم أبناء عم، وحصل مؤخرًا محمد العبود على لقب بيك. تكاثر عدد أبناء هذه العائلة، وتم تقسيم مقاطعة عكار لتراضية الجميع، إلى ثلاثة أقسام: "قيطع"، "جيومي" (الجومة)، "دريب"³². يحكم حالياً كل بيك مع أقربائه قسماً من عكار. وأصبحوا أثرياء لأنهم تملكوا مع الوقت كل الأملاك ولا يدفعون الضرائب عنها. ولأنهم يلتزمون أراضي عكار بقيمة 200 ألف قرش، بينما هم يربحون أكثر من 900 ألف قرش. لقد

³² هكذا وردت التسمية في النص الإيطالي وبالعربية: قيطع Kaiteh، جيومي Giumi، دريب Draib.

قضى الحكم المصري على الكثير من بكوات وأغوات هذه المقاطعة، وصادر الأراضي والممتلكات ووزعها على الشعب المثقل بالديون، ما أفقر بعض البكوات والأغوات. ومنذ بضع سنوات، بعد سقوط الحكم المصري في سورية، عاد البكوات والأغوات إلى ممتلكاتهم، وعادوا إلى حالة جمع الثروة، وشرعوا بملاحقة المسيحيين الفقراء وسكان عكار. وهم يستولون يومياً على مواشيهم ويغزون بيوتهم ويفرغونها من محتوياتها، لدرجة أصبحت معها هذه المقاطعة السعيدة بهبات الطبيعة وخصوبة التربة، الأكثر بؤساً بسبب تعسف حكامها. توجد حالياً، في هذه المقاطعة، إرسالية للآباء الكرمليين في قرية "قبيات" المارونية، كما يوجد في قرية "دير جنين" دير "مار جرجس دير جنين" للرهنة المارونية. لا تزال عكار تحتفظ بلقب مركز أسقفية الروم الأرثوذكس، وأسقفها هو المونسنيور جوزيف، واصله من يونيو ionio، ولعدم وجود مقر ثابت له فهو يتجول داخل رعيته.

"شعرة الدنادشة":

كانت هذه المقاطعة تابعة لإقليم الحصن ولحكم طرطوس. لا تأتي الأخبار القديمة على نكرها، ولا يوجد فيها من الآثار غير دير قديم بني في زمن الروم. يقطن هذه المقاطعة الآن المسلمون والموارنة والعرب والنصيرية وبعض التركمان. وتعرف اليوم باسم "شعرة الدنادشة"، أي غابة الدنادشة، لأنه منذ ما قبل 150 سنة جاءها رجل يدعى دندش، وعاش هناك، وصار معروفاً بشجاعته وجرأته في جرائم القتل التي ارتكبها. وهو من أقارب مرعب. إلا أنه ينتمي على الأرجح إلى إحدى قبائل العرب الموالي التي جاءت لنقطن المنطقة التي عُرفت باسمها. يحمل كل أبناء دندش وأحفاده لقب آغا. وهم ينقسمون إلى بيت إبراهيم، وبيت حسن، وبيت حمود الذين يتقاسمون المنطقة. لقد تكاثروا، وهم يتدربون من صغرهم على أعمال الفروسية وأساليب القتال واستعمال الرماح وسواها. ويحكم هذه المقاطعة الآن محمد العثمان من بيت إبراهيم الذي يملك أغلبية المقاطعة تقريباً، ويعيشون حياة شبيهة بحياة العرب، وهي كناية عن امتطاء الأحصنة بشتى أنماطه، ويشبهون البدو القدماء.

صافيتا:

يقطن هذه المقاطعة الكبيرة والخصبة النصيرية والروم الأرثوذكس والموارنة. تعيش أمة النصيرية منذ زمن بعيد فيها، أي منذ الحروب الصليبية. ولكن المسيحيين كانوا يقطنون فيها سابقاً، وكانت مزدهرة بدليل الآثار الباقية من الأديرة والكنائس والقلاع، وهذه الآثار ما تزال قائمة الآن. وتوجد الآن آثار قلعة "المحاش" Mohasci و"برج عرب" وقلعة "ميجار" وحصن "يحمور" و"العريمة" و"برج الدنادشة" و"قلعة الزارة". أما آثار الكنائس فمنها، آثار كنيسة "شالوح" و"دير سمكه" و"كنيسة البويضة" وكنيسة السيدة العذراء في "كفرون" ودير مار الياس ومار جرجس. وهناك أيضاً آثار القديس سمعان العمودي، الذي بناه الأباطرة الرومان. تدل كل هذه الآثار على أن هذه المقاطعة كانت كثيرة الازدهار، وكان يقطنها المسيحيون. وعلى ما يبدو من كتابات ابن العبري في كرونكون Cronicon فإن النصيرية هم من بقايا جيوش المغول، وهذا ما ذكره نسيبي المونسنيور يوسف السمعاني في "المكتبة الشرقية" الشهيرة. لم يكن لهذه الأمة مبشرون ولا كهنة، وفقدت مع الوقت كل المبادئ الدينية السابقة. وديانتهم غير معروفة الآن، ولكنهم يقيمون بعض الاحتفالات خلال العام، مثل عيد الميلاد على التقويم القديم، وعيد الفصح. وقيمون قداساً مرة في السنة حيث يستعملون الخبز والنيذ، وهم يؤمنون بالنقمص، وليس عندهم لا كنائس ولا احتفالات دينية. وكل كريم ومضيف يكون قديساً كبيراً بنظرهم، ويبنون له مزاراً.

ينقسم النصيريون إلى خمس قبائل أساسية اشتقت منها القبائل الأخرى. الأولى قبيلة "خياطين"، ومنها تفرعت عشائر: "عيدية" و"قراوي" و"حلبية"؛ الثانية هي قبيلة "رسلان"، ومنها تفرعت

عشائر: "تواصرا" و"جهني" و"رشواني"؛ الثالثة قبيلة "حدادين"، ومنها تفرعت عشائر: "قرحالي" Korâli و"ياشوتي" و"عتاري" و"بشلاوي" و"عامودي" التي اتخذت اسمها لإقامتها في منطقة فيها آثار دير مار سمعان العمودي؛ والرابعة قبيلة "المتاورا"، ومنها "نملبية" و"بشراوي"؛ والخامسة قبيلة "بيت الأعرج" التي لم تعرف فروعاً لها. لهذه القبائل قادة دينيون ومدنيون تحترمهم رعيتهم وتطيعهم، وفي حال العصيان يتم إقصاء العصاة عن القبيلة بقرار ملزم، ومن يصدر بحقه قرار الإقصاء يتم التعامل معه كغريب عن القبيلة. يحكم هذه المقاطعة زعماء القبائل في الغالب، ويتم تعيينهم من قبل حاكم طرابلس. ولكنه بعد حوادث إسماعيل بيك الأخيرة تسلم هذه المقاطعة حاكم تركي، ولكنه لم يتمكن من قمع الأشرار.

الحصن:

استمدت هذه المقاطعة اسمها من وجود حصن فيها، والقلعة ما تزال بحالة جيدة. لقد بناها الصليبيون، وفيها حتى الآن نقوش النبلاء، وعلى مقربة منها دير مار جرجس للروم الأرثوذكس. يتبع الحصن حماة³³ Apamea، وبالتالي باشا دمشق. سكان الحصن هم نصيريون وروم أرثوذكس وقليل من المسلمين. يعيش المسيحيون في وادٍ خصب هو وادي النصاري. ويحكمها زعماء النصاري، وفيها حاكم مسلم في القلعة، وأحد المسيحيين في وادي النصاري. والمسيحيون هناك يفرضون احترامهم على الآخرين. وأسقف هذه المقاطعة هو نفس أسقف عكار.

طرطوس:

مقاطعة مشهورة منذ القدم، وطرطوس مدينة فينيقية تدل آثارها على عظمتها. يعيش فيها حالياً المسلمون وقليل من المسيحيين. توجد فيها كنيسة كبيرة بنيت على يد الرسول بطرس، كما يُستدل من النقوش الموجودة فيها. ومنذ تسعة أعوام تم احتلالها من قبل المسلمين، ولكونها معروفة جيداً فلن أطيل الكلام فيها. توجد فوق هذه المدينة قرية مارونية تابعة لأبرشية طرابلس، وهي قريبة من جزيرة أرواد التي سطا عليها الفرنجة عام 1302 وأخذوا منها بعض الأسرى. يعيش في هذه الجزيرة حالياً مسلمون فقط، وفيها بعض الآثار القديمة.

جبة بشري:

هي عاصمة جبل لبنان، حيث يوجد شجر الأرز، وتتبع غالبية هذه المنطقة إلى أبرشية طرابلس، والباقي لأبرشية جبيل والبترون. عانت هذه المنطقة كثيراً، ويقطنها الموارنة فقط. وفيها ديران مشهوران. الأول، دير قنوبين، مقام البطريرك الماروني، وهو مشهور منذ ما قبل الأباطرة اليونان. والثاني هو دير مار أنطونيوس. وقرب قرية إهدن هناك مار سركيس، وفيها مأوى للآباء الكرمليين قرب بشري. ومنذ زمن الأباطرة كانت هذه المقاطعة مقراً للأمراء الموارنة المعروفين في التاريخ العثماني، على ما جاء عند السمعاني. وخاض هؤلاء الأمراء عدة حروب ضد الأباطرة وضد المسلمين، كما يتبين من حوليات "بطرك اسطفان الدويه" (البطريرك اسطفان الدويهي). وبعد حكم الأمراء تولى هذه المقاطعة حكام باسم "شدياق". وخاضوا عدة معارك ضد المسلمين وحكام طرابلس. وبعد هذه الحروب، صار حكامها يعرفون باسم "مقدم". دام حكم المقدمين عدة قرون، وحاربوا كثيراً ضد المسلمين وباشوات طرابلس، وأخيراً أمراء "بيت حمادة" الذين حكموا هذه المقاطعة لقرن من الزمن. ولكن مؤخراً، وبعد أن أساء أبناء "إسماعيل حمادة" التصرف مع السكان، اضطر المسيحيون

³³ خطأ، حماة هي إبيفانيا Epiphanie القديمة؛ (رنان).

إلى التآمر عليهم، وبقوة السلاح حرروا أنفسهم من نير هؤلاء الكفار، وتعيين بعض وجهاء المسيحيين كحكام لهذه المقاطعة. ولقد قسمت هذه المقاطعة إلى ثلاث مناطق، ولا يزال هذا التقسيم سائداً. والمقاطعة تابعة لحكم الجبل. هذا باختصار ما يتعلق بأبرشية طرابلس الشام.

منطقة طرابلس

(ص 129) لا يمكن مقارنة طرابلس، من حيث قيمة العاديات فيها، بصيدا وصور وجبيل وأروداد. والأهمية الكبرى التي بلغتها المدينة في العصور الوسطى قضت تقريباً على كل العاديات السابقة. ولم يُعرض علينا فيها أي أثر قديم، اللهم غير جدار ضخم في الميناء وبعض الأعمال في الصخور المعتبرة حتى الآن بمثابة حمامات، ولكنها في الواقع خزانات للمياه أو مجرد خزانات غلال مخروطية الشكل، شبيهة تماماً بما عثرنا عليه في جبيل بالقرب من البحر. عثر من فترة قريبة على تمثال في المرفأ، لم نتمكن من رؤيته. ولا جود فيها لنقوش قديمة.

من المعروف أن طرابلس كانت بمثابة مدينة مشتركة للمخالفة الفينيقية، وكان لكل واحدة من أهم المدن الفينيقية حيّ (بلدة) خاص بها في المدينة³⁴. ولكن مواقع هذه الأحياء التي منها اشتق اسم طرابلس مجهولة تماماً اليوم.

إن أهم أثر مثير في الجوار القريب لطرابلس نجده في الموضع المسمى كنز - أمور³⁵ - Kenz-Amour. وهو عبارة عن مقبرة بدائية للغاية، لا اثر للزخرفة فيها، ولا أمل بالعثور على أي نقش في بقاياها القديمة الخالية من أي تاريخ أو دلائل على طراز فني ما. تمتد المقبرة على طبقات صخور متراكمة فوق بعضها بانتظام تقريباً، كأنها طوابق متراجعة عن بعضها البعض. وسرديتها غير متناسقة وبأحجام مختلفة. ولا نظن باحتمال الحصول على نتيجة ما (ص 130)³⁶ بالتنقيب فيها. ولكن ثمة فراغات غالباً ما لاحظنا وجودها فوق البواب، لعلها كانت معدة لوضع نقوش معدنية.

تحدث الكثير من الرحالة³⁷ عن أسماك كانت موضع احترام، بالقرب من طرابلس، في جامع صغير. لا شك أن في ذلك بقية من عبادة الأسماك المقدسة، وهي عبادة قديمة جداً في سورية، وكانت شعبية جداً³⁸. ثمة من حدثني عن آثار في قمة جبل تربل. يبدو لنا الاسم مشتقاً على غرار اسم طرابلس بالذات. ويذكر بروكار Brocard قبراً بطول 12 قدماً، في مغارة في سفح الجبل، يعتبره المسلمون قبر يشوع³⁹ Josué.

يوجد في قضاء الضنية، شرقي طرابلس، موقع اثري بالغ الأهمية. إنه الموقع المعروف باسم حصن السفيرة، بالقرب من بلدة سير⁴⁰، الذي قدم له لوكرؤا الوصف الآتي:
"يبدو حصن السفيرة مكوناً من ثلاثة معابد. اثنان منها مدمران تماماً، بينما بقي الثالث سليماً بكامله تقريباً. وبالنظر إلى حالة مدخله والإفريز الذي يزين قسمه العلوي يمكننا القول أنه بني للتو. فجميع حجارتها في موضعها الأصلي، وزواياها البارزة ما تزال على حالها، وكأنما العمل فيها انتهى بالأمس القريب. يرتكز المعبد على ركن ارتفاعه بين ثلاثة أو أربعة أمتار؛ ولا

³⁴ راجع النصوص التي جمعها موفرز Movers وريتير Ritter.

³⁵ لم يحدد رنان موقعه، (المترجم).

³⁶ يشير الرقم 129 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

³⁷ Laborde, G. Robinson, Thomson, Porter.

³⁸ Xénophon, Anab. I, IV; Ovide, Fastes, II, V, 461-474. نجد نفس العبادة في أمكنة أخرى من سورية، مثل أورفة

.Orfa

³⁹ Dans le Rudim. novit. fol. 168 b ; p. 28, édit. de M. Laurent.

⁴⁰ Voir Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, tome VI, p. 416-417.

نعثر على هذا الركن ولا أمام الواجهة أي أثر للأعمدة⁴¹. والمعبد عبارة عن مستطيل عرضه يعادل تقريباً نصف طوله. وحجارته ضخمة وجيدة النحت، ولا نرى بينها أثراً للملاط. يتقدم جداراه الجانبيان بضعة أمتار عن واجهته، وكان من شأنها أن تشكل سابقاً مقدمة للهيكل يؤدي إليها درج تغمره اليوم بقايا الواجهة. والمعبد على العموم بسيط جداً؛ تقتصر زخرفته الخارجية على بروز بعض أعمدته من الجدار بما لا يزيد عن 5 إلى 6 سنتم على الأكثر. في واجهته ثلاثة أبواب، الوسط منها كبير وأعلى من الآخرين، وإطاره بارز. والبابان الآخريان أضيق منه وأقل ارتفاعاً، وبلا أي زخرفة. يؤدي باب اليسار إلى درج داخلي مبني في الجدار، ويفضي إلى الأقسام العليا من المعبد (ص 131)⁴². ويقسم قدس الأقداس الذي يبلغ طوله من 14 إلى 15م، إلى قسمين يرتفع الثاني ثلاثة أمتار عن الأول. وثمة مدرج في الوسط يؤدي إليه، بينما على الجانبين هناك بابان صغيران يحيط بكل منهما إطار بارز، وينفتح الواحد منهما على درج يؤدي إلى قبة سفلية طولها بعرض المعبد. ويبدو الطراز الروماني في كل ثنايا المعبد. وثمة نقش يوناني في جدار اليمين، على حجر لا يختلف بشيء عن باقي الحجارة.

"المعبد الثاني مدمر، ولم يبقَ منه غير أعلى الباب وعليه نقش.

"أما المعبد الثالث، فيحتفظ بباحته، وفيه ثلاثة أعمدة من الطراز الدوري dorique.

"تشرف على حصن السفيرة قمة عليها أنقاض بناء قديم مربع الشكل، وحجارته من نفس الموقع. وبالقرب منه مذبح نحته غير منقن. تحمل هذه الأنقاض اسم "حصن الحاطي" Hosn el-Hâti. وعند منتصف منحدر القمة نجد بناءً آخر، ضلعه حوالي 6م، وهو على نفس شكل البناء الأول. في قاعدته نتوء، وبالقرب منه ثمة شاهدة قبر، في وسطها يرسم طوق بداخله نقش على الأرجح، ولكنه تالف⁽⁴³⁾. "جاءني لوكرؤا بأرشم للنقشيين المذكورين للتو. والاتان سبق نشرهما ولكن بطريقة لا تمنع العودة إليهما. النقش الأول الموضوع في الحائط الجانبي للمعبد الأول، سبق أن نسخه كينيدي بايلي⁴⁴ Kennedy Bailie، وهو وارد في المجموعة تحت الأرقام (4528b et 4528c). بيد أن المؤشرات الطبغرافية التي يقدمها بايلي لا تتفق مطلقاً مع معطياتنا. يزعم بايلي أن النقش عُثر عليه في لبنان بالقرب من دير سان-ديميتري في الكورة. ولكن بالعودة إلى مقاطع روبنسون Robinson وبوركارد Burckhardt، مراجعه التي يحيلنا إليها، نرى بوضوح أن هذا الدير يقع عند سفح الناوس، الموضوع المذكور في الكورة فعلاً. ولكن السيد بايلي ارتكب جملة مغالطات، والطريقة الملتبسة التي يعبر بها تثبت أن ملاحظاته هنا تعاني من الثغرات تلافها بالاعتماد على الذاكرة.

كما أن أرشمه أو نسخه تعرضت هي الأخرى لعدم التنظيم، لأن النقشيين اللذين ينشرهما كنفشين متميزين، واللذين اتخذوا في المجموعة الرقم (4528b et 4528c) ليسا سوى النقش الواحد. سأعرض النقش كما هو في رشمنا. لقد تقيدينا بكل دقة بمسافات وترتيب النقش الأصلي.

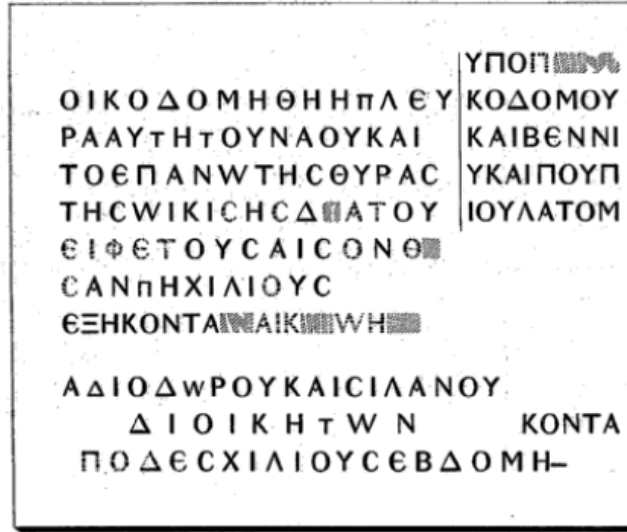
السطور الثلاثة الأولى أكيدة، وقرأها جيداً السيد بايلي. أما السطور 4 و5 و6 فهي معقدة للغاية. والتصحيح الذي اقترحه بايلي، وكذلك السيد فرانز Franz في المجموعة، مدعاة للرفض. ففي السطر السادس (ص 132) لا توجد الثغرات التي عرضها بايلي. فما يأتي بعد ΕΗΚΟΝΤΑ، في السطر السابع مشكوك به تماماً. ثم يتبع سطر فارغ (لقد تم بعناية شطب حقل النقش). والسطور الثلاثة الأخيرة فهي سليمة. وبداية السطر الأول منها هو بالتأكيد ΔΔ، كما لاحظته السيد بايلي بداية.

⁴¹ يوحى نومسون Thomson وكان الأعمدة مبعثرة في الجوار: Bibliotheca sacra, V, 13

⁴² يشير الرقم 130 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁴³ يشير الرقم 131 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁴⁴ Fasciculus inscr. Græc. III, 137 et suiv. Cf. Corpus, III, p. 1175.



ينتهي السطر السابق على الأرجح ب **ΔΙ**: **Διόδορου και Σιλανού διοικητών**. وفي السطر الأخير عبارة **χιλίους έβδομήκοντα** سليمة. أما **KONTA** فهي في الحقيقة ترحيل للسطر الأخير، كما تثبته علامة الوصل الواضحة بعد **ΜΗ**. ولا يوجد شيء مكتوب في الحقيقة بين **ΔΙΟΙΚΗΤΩΝ** و **KONTA**. ويبدو أن بداية السطر الأخير هي **πόδες**، **πόδας**.

ليس في النقش الصغير الموجود إلى جانب الكبير، أي حرف موضع شك، اللهم إلا في السطر الأول. **ΥΠΟ** هي صحيحة. وما يبقى من الحرف التالي يبدو أنه جزء من **Π**. تثبت وضعية نقش **ΕΒΔΟΜΗ-ΚΟΝΤΑ** أنه ينقصها القليل على يمين الحجر. بيد أنه يمكننا إيجاد مجال لاسم علم.

Υπό Π[..... οί]
κοδόμου
και Βεννί[ο]
υ και Πουπ[λ]
ίου λατόμ[ων]

المقطع الذي يقدمه بايلي تحت رقم 347 والذي يحتل الرقم (4528d) في المجموعة هو من حصن السفيرة بلا شك، ومن نفس المعبد كالنقش السابق. لم أعثر عليه في أرشم السيد لوكروا.

(ص 133) النقش الثاني الذي أخذ معاوني له رثماً كان قد سبق أن نسه سيتزن Seetzen، ولكنه عيّن موقعه بشكل غامض للغاية، وكذلك السيد بايلي ولكنه هذه المرة حدد مصدره. إنه النقش رقم 4528 من المجموعة (راجع الملحق). وكذلك فإن تومسون Thomson نسخه⁴⁵. نسخة سيتزن هي الأفضل، وهي دقيقة بشكل كامل حتى **ΓΥΝΗ** ضمناً. بعد هذه الكلمة أقرأ في رثمننا **ΑΥΡΑΟΥ ΕΙΤΟΥ**، وهذا ما يتفق مع قراءة سيتزن وتومسون أكثر مما هي عليه قراءة بايلي. وما يلي غير مختلف، ولكني أجده أفضل في نسخة سيتزن ونسخة بوريل Borrell التي وصلت إلى بايلي، مما هي عليه الحال في نسخته هو. يجدر بنا ملاحظة أن بايلي على العموم غير متقن في نسخه ومتسرع في تقديره...

(ص 134) ... نعثر على اسم ربة تانيت Rabbat-Tanit الكامل في كلمة *Kyria Artēmis* في اللاذقية (Corpus, n^{os} 4470, 4471). من المعروف أن عبدتانيت Abdtanit تعبر عنه عبارة في النقش الأول في أثينا⁴⁶. كانت عبادة فينوس- أرتيميس Vénus-Artémis رائجة جداً في عرقة أو قيصرية لبنان، على مسافة أربعة أو خمسة فراسخ من حصن السفيرة. من الملاحظ أن الخوري السمعاني (راجع سابقاً) يقول أن حصن السفيرة كان مكرساً إلى ديان Diane. ولكننا نتساءل هل يقول ذلك لأن هناك تقليد في قوله هذا، أم أنه يفعل ذلك استناداً إلى مقارنة في اشتقاق اسم ضنية Dannié. سيريا Cyria نجدها بجانب بلوتون Pluton وسيريس Cérés، ويبدو أنه ملتبس مع كورا Cora في نقشين من أوزيا Auzia في إفريقيا، وهي مدينة تم فيها الاحتفاظ بشكل فريد بالعبادات القرطاجية⁴⁷.

من الواضح أن في نقوش حصن السفيرة أسماء هي في الغالب لاتينية. إن مرحلة أوسع انتشار لعبادة فينوس- أرتيميس، ومرحلة إشراق المعابد اللبنانية، تطابق زمن الأباطرة السوريين، فمن المعروف أن اسكندر سفيروس ولد في معبد في عرقة⁴⁸.

ثمة موضعان، جنوبي طرابلس، في طرف سهل أميون، فيهما آثار رائعة لأديان قديمة. أحدهما في بزيزا Bziza (بيت-عزير، معبد عزيز⁴⁹ Aziz) حيث يظهر معبد جميل إيوني محفوظ جيداً، وتم تحويله إلى كنيسة في مرحلة كانت العمارة فيها ما تزال راقية في هذه المناطق. تسمى هذه الكنيسة **كنيسة العواميد** "كنيسة العواميد". ولقد رسمه بدقة دو لابورد⁵⁰ M. de Laborde. لا نقوش فيه. ثمة الكثير من الكلام وصلني حول وجود نقش في بزيزا، ولكن محاولاتي في استيضاح موقعه من أهل البلدة ذهبت سدى. وفيما بعد (ص 135)⁵¹ وردتني نفس المعلومات حول النقش على مسافة 200 قدم من المعبد، في حقل بالقرب من القرية. من المرجح جداً أن يكون أهل بزيزا الذين يعتقدون بوجود كنز هناك، قد خدعوني. ولكني دعوت الذين يتبعوني إلى البحث بين المعبد والقرية، باتجاه البحر.

إن ناووس Naous، وهي فوق كسبا Kisbé، موضع أهم بكثير من بزيزا⁵². من الواضح أن اسم الموقع يوناني⁵³: *Naios*. وأحد رسوم السيد دو لابورد تمثل باباً لمعبد في ناووس⁵⁴. وفي ناووس أنقاض معبدتين بساحات واسعة مقدسة. قائمتا الباب من أبوابه مكونة الواحدة من حجر واحد ضخمة، ومقور ليركب ناتئاً على قاعدته. المعبد الشرقي منها، نحته غير متقن، أبوابه ومدخله فقط من حجارة ضخمة، أما الباقي فمن حجارة متوسطة الحجم كما هي الحال في قلعة فقرا وأفقا. والباب تعلوه، كما في أم العواميد وجبيل، الكرة المجنحة التي بقيت حتى عصر الأنطونيين Antonins زخرفة إلزامية في جميع المعابد الفينيقية. أما المعبد الآخر فهو كورنثي، بقي منه قطع من زخرفة مدخله، وقطعة من إفريزه عليها، على ما يبدو، آثار مسامير لتثبيت النقش. جدران صحنه من حجارة ضخمة، كما هي الحال في دير القلعة. ونظن أننا وجدنا على قائمتي الباب نقاط تثبيت اللوحات المعدنية حيث يتم تدوين التعليمات المتعلقة

⁴⁶ Voir Movers, Die Phœn., I, 618 et suiv.

⁴⁷ راجع: Inscriptions rom. De l'Algérie, n^{os} 3576, 3581. يعود النقش الثاني إلى العام 241 ب.م.

⁴⁸ راجع: Tillemont, Hist. des Empereurs, III, p. 157-158.

⁴⁹ إن الحرف ب b في مطلع أسماء الأماكن (بتدوين...) في لبنان هو عامة اختصار لكلمة بيت beth.

⁵⁰ Voyage de la Syrie, pl. XXII, 42 et 43; XXIII, 44. Comp. Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, VI, p. 419-420.

⁵¹ يشير الرقم 134 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁵² راجع: Ritter, XVII, 594 et suiv. Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, VI, p. 418-419.

⁵³ يحمل الكثير من أنقاض المعابد في لبنان هذا الاسم، كما لاحظ بوركارد Burckhardt. وغالباً ما يختلط هذا الاسم بكلمة

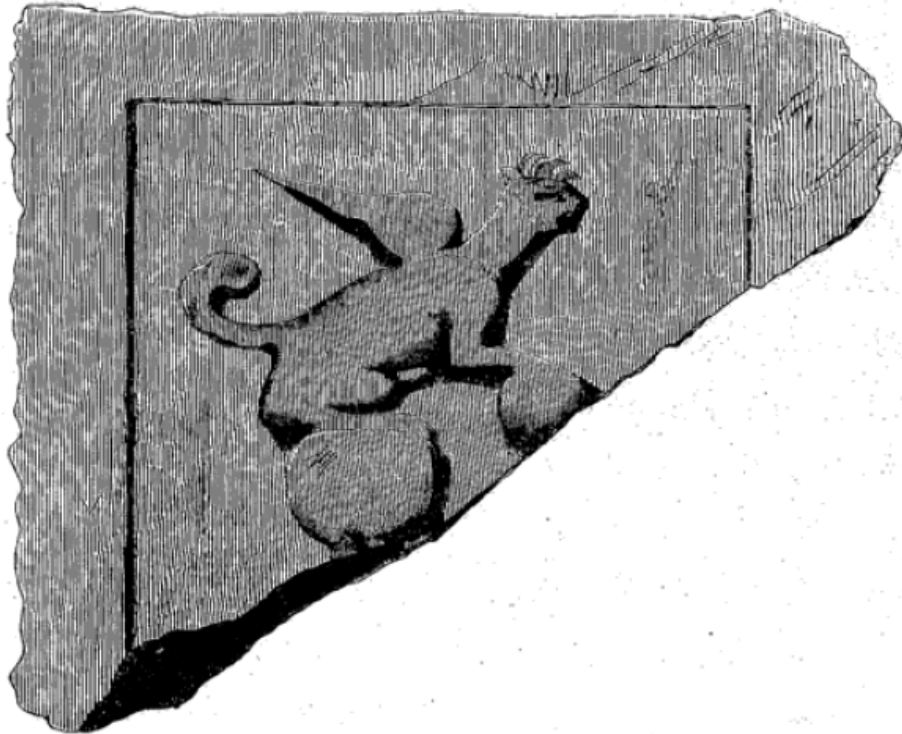
ناموس Namous "مدفن أو مقبرة"، راجع: Voy. Ritter, XVII, 199, 594.

⁵⁴ XII, 29. ثمة خطأ في لوحات دو لابورد جعل هذا النصب بجوار طرطوس.

بالطوقس المقدسة. وكان موضع تثبيت هذه اللوحات بمظهر فريد لم أشاهد مثله في مكان آخر.

تعود جميع الأبنية في ناووس إلى العصر الروماني، ولكنها على طابع سوري متميز، كما هي الحال في قلعة فقرا، وهي على أي حال، تختلف بعمق عن طراز البناء (ص 136) الروماني الصرف كما في بعلبك. لقد كان شائعاً في سورية وجود هذه الأبنية الدينية الكبيرة. حصن سليمان وحصن السفيرة ومشنقة وأفا وقلعة فقرا ومعبد لآك ليمون ودير القلعة والفرزل كلها على طابع شبيه بناووس...

بصعودنا من كسبا إلى أعالي وادي قاديشا، نجد في طرزا، أو بطرزا، منحوتة غريبة. هي نوع من العنقاء المحفور على الصخر؛ طول الحيوان حوالي المتر ونصف. وعلى مقربة منه نرى قبو، كما هي الحال عند جميع (ص 137) النصب المحفورة على الصخر. وهو على شيء من الجمال وفيه تسع كوات. ويقع مقابل المنحوتة.



إن منطقة إهدن وبشري، "الوادي المقدس"، البالغة الأهمية في التاريخ الوسيط⁵⁵ والحديث، بفعل التطور الأصيل لجماعة⁵⁶ الموارنة، لم يكن لها دور هام في العصور القديمة. فأنا أرفض رفضاً مطلقاً أي علاقة بين إهدن واسم عدن Eden الوارد في سفر التكوين، ولا مع اسم בית-ערן الوارد في سفر عاموس Amos (1، 5)، ولا مع Παράδεισος الوارد عند قدامى الجغرافيين، كما يُظن عادة⁵⁷. لا يوجد في إهدن أي أنقاض لبناء كبير، فلم يكن في موقعها غير قرية بطريركية لجبليين طبيين. إن مماثلة إهدن مع Γῆ ومع Παράδεισος تتجم عن مجرد خطأ في الكتابة. يُكتب الاسم اهدن، لا عدن، كما تصور روبنسون⁵⁸. ومن

⁵⁵ "Plura loca religiosa constructa sunt super rivos ejus et ecclesiae multae"، Brocard, dans le Rudimentum novitiorum, fol. 168 a, p. 28 de l'édition de M. Laurent.

⁵⁶ يستخدم رنان عبارة العرق الماروني race maronite، فضلنا عليها عبارة جماعة الموارنة، (المترجم).

⁵⁷ Gesenius, Thes. s. v. Ritter, XVII, 650 et suiv.

⁵⁸ Bibl. Res. III, 587, note.

المدهش القبول يمثل هذا الخطأ (ص 138)⁵⁹ حتى وقتنا هذا من قبل الكثير من رجال العلم⁶⁰. إن ميل الموارنة لوضع عدن في واديهم المقدس⁶¹ يجد تفسيره ببساطة بفعل وطنيتهم الساذجة، وبمحببتهم لهذا الوادي الشاهد على صراعهم البطولي، علماً بأن هذا الوادي من ألطف المواقع في العالم. ولتبرير هذا الزعم، اعتمدوا الكتابة الآتية **ح** المعمول بها في الإكليروس، والتي يعتبرها المتقنون الكتابة الأصلية للاسم، بحيث تكون كتابة اهدن، برأيهم، مجرد تحريف عربي. ولكن التفسير الصحيح أن كتابة اهدن أصبحت **ح**، بينما العكس يكون غير مفهوم⁶²...

نقوش هدریان Adrien

(ص 258) هنا المجال للكلام على نقوش أدريان المنتشرة في كل منطقة أعالي لبنان، بين صنين وممر الأرز، وكذلك في المنطقة الوسطى من تولا إلى سمار جبيل⁶³. تطرح هذه النقوش واحدة من أكثر المسائل فرادة في وضعية النقوش، بقيت غير ملحوظة حتى الوقت الراهن. لقد حدثني باستمرار، في الشتاء وأنا في عمشيت، عن نقوش عديدة محفورة في الصخور في أعالي الجبل. ظننت الأمر في البداية مجرد توهم. ولكنه كان الحقيقة بعينها. ففي كل المنطقة المذكورة، وخاصة في أنحاء العاقورا وقرطبا وتورين، نصادف لدى كل خطوة نفس النقش، وجميعها تحتوي على نفس الاسم أدريان Adrien، وهو نقش مكرر مئات المرات، بحروف من ثلاثين إلى أربعين سنتم طولاً (ص 259)⁶⁴، وهي محفورة عميقاً في الصخر. والنقوش محفورة على العموم بعناية، وما فيها من عدم الانتظام يعود إلى أخاديد الصخور ليس إلا. لقد كان النقاش، في الحقيقة، مضطراً دوماً، بحكم طبيعة الصخور، على الانحراف، أو على ترك فراغات، وأحياناً ينتقل من صخرة لأخرى، أو يغير من حجم الحروف التي ينقشها.

إنه لأمر غريب أن يبقى هذا المجموع الكبير من النقوش، والذي يشكل سمة خاصة بهذه المنطقة، مجهولاً حتى مروري في لبنان. ليس هناك من شك بأنه كان لا بد لبعض الأوروبيين من رؤيتها، ولكنهم لم يفهموا منها شيئاً بالتأكيد، لأن هناك تقليد واسع الانتشار في البلاد جعل الرحالة الفرنجة ينسبون هذه النقوش إلى مجنون وضع اسمه على الصخور وهو يتجول في الجبل. والبعض من رجال الدين الموارنة الذين تابعوا دراستهم في روما لاحظوا بدون شك هذه النقوش. ولكني لم أجد، حتى في أوساط الإكليروس الأكثر ثقافة، أي فكرة دقيقة حول قراءة هذه النقوش. وثمة منهم من سعى إلى إعطائها تفسيراً دينياً⁶⁵. وقيل لي أن بعض المرسلين الكاثوليك عمدوا إلى قراءة النقش: "مريم أم الله الكلي القدرة".

لا يعني ذلك غياب بعض المؤشرات على معرفة البعض ممن سبقني من الرحالة بهذه النقوش. لقد حصل بركارد Burckhardt وأوتو ريختر Otto Richter وروبنسون Robinson على معلومات عن هذه النقوش من جانب أهل العاقورا⁶⁶؛ ولكن الأول لم يهتم بالتحقق منها؛

⁵⁹ يشير الرقم 137 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁶⁰ ظن روبنسون Robinson، من جهة أخرى، انه عثر على Παράδεισος في البقاع (III, 556). لا يبتعد طومسون

Thomson كثيراً عن هذا الرأي (Bibl. sacra, V, 689).

⁶¹ Voy. F. Naironi, Evoplia, 84, 88-89.

⁶² يشير الرقم 138 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁶³ راجع خريطةنا (pl. I) حيث عينا المنطقة التي توجد فيها هذه النقوش، ببئر الحرف H.

⁶⁴ يشير الرقم 258 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁶⁵ راجع ص 274، حيث نقرأ: "وجد الأوروبيون الذين تجولوا بين العاقورا وتورين حجارة منقوشة، وقالوا بأن ثمة رجلاً من هناك، وكان يحلو له نقش اسمه على الصخور".

⁶⁶ Burckhardt, I, p. 340 (trad. de Gesenius); O. von Richter, Wallfahrten, p. 106-109; Robinson, Bibl.

Res. III, 602. Cf. Ritter, Erdkunde, XVII, p. 556-557, 562.

والثاني لم يجد مرشداً يقوده إليها؛ أما الثالث فافتراض، خطأ، أن النقوش قد تكون عربية. يبدو أن أهل العاقورا قد سعوا، في مرحلة معينة، إلى إخفاء الممر اللبناني الذي يفتح قرب بلدتهم؛ وعلى أي حال، لقد اشتكى الرحالة، الذين سبقوني واتصلوا بأهل العاقورة، من عدم الترحيب بهم هناك. بينما وجدتهم، على العكس، على كياسة رائعة، وشيخهم بالذات تجول معي في كل هذا (ص 260)⁶⁷ القسم من الجبل، ليرشدني إلى هذه النصوص المثيرة التي كان وحده يعرف مواقع الكثير منها. ثمة مقطعان عند غيز⁶⁸ تدفعنا إلى الظن بأنه رأى نقشاً أو اثنين منها. أما الوحيد الذي سبقني وتعرف إليها معرفة أكيدة فهو المرسل الأميركي دو فوريس⁶⁹ M. de Forest. لقد شاهد أربعة من هذه النقوش في القمم فوق بركة اليمونة، ونسخ منها اثنين أو ثلاثة. وقرأ بوضوح اسم الإمبراطور هادريان، ولكنه لم ينتبه إلى الباقي. كما أن مرشده أبلغوه بأن النصوص من هذا النوع كثيرة.

لقد جمعت حوالي ثمانين نموذجاً من هذه النقوش المثيرة؛ وأكدوا لي وجود حوالي العشرين منها أيضاً، مع أنني لم أتمكن من رؤيتها؛ ولا بد أن العدد الكثير منها فاتتني ملاحظته؛ كما أن عدداً كبيراً قد يكون تعرض للتلغ، أو أن حجارته مقلوبة فصار النقش غير مرئي. وهناك من كان يعتقد أن هذه النقوش علامات على وجود الكنوز، ما يفسر الحفر التي أحدثها الباحثون عن الكنوز تحت الصخور، وهذا ما جعل الكثير من النقوش معرضة للتلغ⁷⁰...

(ص 278) هذا هو مجمل هذه الكتابات العجيبة التي لم أعرف مثيلاً لها. وتتألف جميعها، كما نرى من: 1، صيغة أساسية لا مجال للشك فيها؛ 2، صيغ إضافية متغيرة. واحدة من هذه الصيغ، AGIVCP، فهمناها لأننا عثرنا على كتابتها الكاملة scriptio plena. صيغتان أخريان، DFS، و VIC، أو VIG، تبقيان موضع شك. وبما أنني لم أتمكن من أن أرى بنفسي جميع المواقع التي يمكن أن تكون الكتابة فيها كاملة، فإني لا أعطي تأكيداً (ص 279)⁷¹ أن تفسير هاتين الصيغتين لن يحصل يوماً. وإني لأنصح الرحالة خاصة بالذهاب مجدداً إلى وادي عين الشعرة Wadi-Aïn-Schara أو وادي التوت Wadi-Tout، ودرجة المحل Dirajet el-Mihal، وبعض النقوش فوق تنورين، خاصة نقوش الفوار El-Fouar وتم القبور Tumm el-Qobour وعين الحمرا Aïn el-Hamra، وأخيراً نقشي راس عقبة الجني Ras Akbet Djenny بالقرب من قرطبا.

علوة على الصيغ الإضافية، يحمل الكثير من النقوش رقماً تسلسلياً. وتصل هذه الأرقام حتى 800 على الأقل. ومن الملاحظ أن أرقام بعض النقوش القريبة من بعضها متباعدة كثيراً. ثمة فرضية تقرض نفسها لتفسير الوقائع المعروضة أعلاه، وهي تكمن في اعتبار هذه النقوش الكثيرة بمثابة تنظيم قانوني معلى، بناءً لأمر هادريان، في هذه المنطقة من لبنان المغطى بالغابات سابقاً، وبهذا التنظيم يمكن التمييز بين المناطق المخصصة للدولة بخصوص قطع الأشجار، والمناطق المتروكة للأفراد. لقد سبق لنا أن رأينا مناسبات تدفعنا إلى افتراض أن لبنان، فوق جبيل، كان كثيف الغابات في العصر الروماني. ومن المعروف أن التوراة تجعل السمة الأساسية المميزة للبنان هي غاباته⁷². وكان لبنان في زمن الاسكندر يوفر الخشب لبناء الأساطيل الضخمة⁷³. وفي أيام الرومان كثيراً ما كانت الأساطيل ترسو في هذه الأنحاء، لاختيار صواريخها من أفضل أشجار الصنوبر في الجبل. وغالباً ما نصادف هذه النقوش في

⁶⁷ يشير الرقم 259 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁶⁸ Relation d'un séjour à Beyrouth et dans le Liban, II, p. 15 et 19. "في منتصف الطريق بين المروج وزحلة..."

رأيت اختصار اسم الإمبراطور هادريان: "Mission, ..., p. 278"

⁶⁹ Journal of the American Oriental Society, vol. III, n° II, p. 355 (1853).

⁷⁰ يشير الرقم 260 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁷¹ يشير الرقم 278 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁷² راجع على سبيل المثال: II Reg. xix, 23; Isaïe, XXXVII, 24

⁷³ Quinte-Curce, X, 1.

مواضع الانحدار الشديد، التي لا يمكن بلوغها، ونادراً جداً ما نجدتها في الأماكن المزروعة، وقعر الوديان.

ولنعترف، مع ذلك، بأن بعض المواقع التي وجدنا فيها أحياناً هذه النقوش، تتعارض مع الفرضية التي تقدمنا بها. وليست هذه المواقع هي في واقعها اليوم جرداء فحسب، بل هي أحياناً، موجودة في أمكنة غريبة ورائعة بحيث أنه ثمة متعة بوضع النقوش فيها (ص 280)⁷⁴، لما ينطوي الوصول إليها على مخاطر ما يجعل الأمر تحدياً: كما هي الحال في قمم جبل موسى، أكثر المواقع المهجورة تماماً في لبنان؛ وعلى قمم الأكثر ارتفاعاً بين العاقورة والباقع، حيث يدوم الثلج حتى شهر حزيران على الأقل، وحيث لا ينبت غير النباتات الدغلي؛ وعلى الصخور فوق ترتج وتتورين حيث نعتقد أن الإنسان لم يلج هذه المواقع أبداً؛ أو في مغارة أيوب، المحفورة في صخرة في قمة الجبل، وحيث لا يمكن الوصول دون الاستعانة بالشجيرات المعلقة فوق نهر أدونيس. ولما كانت هذه هي حال النقوش الأولى التي صادفتها، راودتني بداية الفكرة باعتبارها نوعاً بطاقات زيارة لقيصر الرحالة، مشابهة لبطاقات نفس الإمبراطور الذي نقرأ اسمه على الأهرامات الضخمة في مصر⁷⁵ وفي مواقع أخرى كثيرة⁷⁶. إن اسم هادريان هو بالتأكيد الاسم المنشور في هذه النقوش في شتى المواقع. ومن المعروف أن هادريان قد أقام طويلاً في سورية، قبل وبعد ارتقائه سدة الإمبراطورية. وكل شيء يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه زار جبيل، وأنه لعب على الأقل دوراً هاماً في تاريخها⁷⁷. ومن المعروف أيضاً كم كان شغوفاً بزيارة المعابد المشهورة، ولا شك بأنه زار أفقا... وبالتالي ليس من المحال أن يكون لهذه النقوش صلة برحلات هادريان في لبنان. ولكن هدفها الأساسي هو بالتأكيد (ص 281)⁷⁸ تنظيم الغابات. واعتقد أنه من المستبعد ألا يمكن العثور على نقوش مماثلة في الجبال المجاورة للبحر المتوسط. ثمة زميل لي يتذكر، بشكل مشوش، أنه شاهد ظاهرة مماثلة في رحلة له في البلقان⁷⁹.

⁷⁴ يشير الرقم 279 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁷⁵ Voir Letronne, Inscript. de l'Egypte, sect. II, init. P. 149.

⁷⁶ A Athènes, en Grèce, ect. (voir Bourquelot, Huit jours dans l'île de Candie, p. 11-13).

⁷⁷ يشهد على ذلك النقش الذي رآه روبنسون (Voy. en Pal. et en Syrie, II, p. 69). لقد وجه أسباسيوس Aspasius، خطيب

جبيل، مديحا لهادريان (Fragment. hist. græc. III, 576)؛ ولقد وضع فيلون الجبيلي سيرة حياة هادريان، وكان، مع

مدرسته، على صلة مستمرة بهذا الإمبراطور (Ouvr. Cite, p. 560)

⁷⁸ يشير الرقم 280 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...

⁷⁹ يشير الرقم 281 إلى رقم الصفحة في: Mission, ...